Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (5), Issue (2) October (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

التجديد من سمات الشخصية الاسلامية في كتابات أبي الحسن الندوي

إيلاف محمد أحمد إبراهيم
إشراف : أ. د عبد القادر أحمد يونس
جامعة الموصل كلية الآداب قسم التاريخ

Renewal is one of the characteristics of the Islamic personality in the writings of Abu Al-Hasan Al-Nadawi.

Presentation: Ilaaf Mohammed Ahmed Ibrahim
supervised by : Prof. Dr. Abdulqader Ahmed Younis ALZubaidi
Mosul University
College of Arts
Department of History

Abstract

The study aims to explain the characteristic of renewal in the Islamic personality in the writings of Abu Al-Hasan Al-Nadawi, as Al-Nadawi dealt with a number of Islamic figures who had a role in renewal and reform, such as Caliph Omar bin Abdul Aziz, Imam Ahmed bin Hanbal, Imam Abu Al-Hasan Al-Ash'ari, Imam Al-Ghazali . Renewal includes many areas, such as political reform, reviving the Islamic system, preserving Islam, eliminating temptations and heresies, and correcting deviations, intellectual and behavioral, especially since attempts at renewal and reform, fighting ignorance and darkness, resisting destructive movements and the deviant current and temptations, and presenting the correct teachings of Islam are connected and continuing in the history of Islam without interruption.

المقدمة

تهدف الدراسة الى بيان سمة التجديد في الشخصية الإسلامية في كتابات أبي الحسن الندوي، إذ تناول الندوي عدد من الشخصيات الإسلامية في مؤلفاته لا سيما كتاب رجال الفكر والدعوة الى الإسلام، والتي كان لها دور في التجديد والإصلاح, كالخليفة عمر بن عبد العزيز والإمام أحمد بن حنبل والإمام أبي الحسن الأشعري، والإمام الغزالي.فالتجديد من المفاهيم التي يحتاج إلى تحديد معناها بدقة ويشمل د العديد من المجالات كالإصلاح السياسي وإحياء النظام الاسلامي والحفاظ على الإسلام والقضاء على الفتن والبدع وتصحيح الانحرافات، الفكرية والسلوكية لا سيما أن محاولات التجديد والاصلاح ومحاربة الجاهلية والظلام، ومقاومة الحركات الهدامة والفتن، وعرض تعاليم الاسلام الصحيحة، متصلة ومستمرة في تاريخ الاسلام دون انقطاع.هذا وقد تم تقسيم البحث الى اربعة محاور المحور الأول/ تعريف التجديدالمحور الثاني/ من هو المجددالمحور الثالث/ مجالات التجديد المحور الرابع/ نماذج من المجددين في كتابات أبي الحسن الندوي

اولاً : تعريف التجديد

التجديد لغةً : تجدد الشيء؛ يعني: صار جديدًا، وجدده؛ أي: صيَّره جديدًا وكذلك أجدَّه واستجدّه. والجديد هو نقيض الخلق، والجدة –بالكسر– هي مصدر الجديد وهي نقيض البلى، ويقال: "بلي بيت فلان ثم أجدّ بيتًا من شعر"، ويقال لمن لبس ثوبًا جديدًا: "أبل وأجد وأحمد الكاسي". والأصل في هذا المعنى القطع، ، أما ما جاء منه في غير ما يقبل القطع فعلى المثل من ذلك؛ كقولهم جدد الوضوء العهد(١).إن المعنى اللغوي للتجديد يبعث تصوراً في الذهن تجتمع فيه ثلاثة معان متصلة لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، " أولها: أن الشيء قد كان في أول الأمر موجودًا وقائمًا وللناس به

عهد. وثانيها: أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديمًا خلقًا. وثالثها: أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق" [٢]نشأ مصطلح التجديد من الحديث النبوي الشريف ، فقد روى أبو داود في سننه، عن أبي هريرة ﷺ ، عن الرسول ﷺ قال: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " [٣]وهو حديث صحيح، صححه المناوي وناصر الدين الألباني [٤].

ثانياً: المجدد

جاء في وصف المجدد أن يكون : "مجتهدًا، قائمًا بالحجة، ناصرًا للسُّنَّة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق النظريات، من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته واقتضاآته، من قلب حاضر وفؤاد يقظان" [٥].كما أن هؤلاء المجددين نوابغ عصورهم، عقلية وعلماً وخلقاً، والتجديد يكون عن طريقهم الذين يظهرون فيها حيناً بعد حين، يملكون الايمان القوي الجديد وسماواً روحياً لا يشاركهم فيه عامة الناس وعزوفاً عن الشهوات وتفانياً في المبادئ والعقائد وفي سبيل الدعوة؛ ومستوى عقلياً وعلمياً أرقى من الكثير ينفحون في امتهم روحاً جديدة ، ويخلقون في اتباع دينهم ايماناً جديداً وثقة جديدة [٦] .

ثالثاً : مجالات التجديد

للتجديد مجالات عدة منها؛ الإعادة: يقول أبو سهل الصعلوكي (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧م) : " أَعَادَ اللَّهُ تعالى هَذَا الدِّينَ بَعْدَ مَا ذَهَبَ يَعْنِي أَكْثَرُهُ بِأحمد بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأبي نعيم الاستراباذي " [٧] وعلى هذا يمكن القول إن تجديد الدين هو إعادته إلى مثل الحالة التي كان عليها في أول عهده ونستنتج من هذه العبارة أن الدين قد كان تامًّا ومكتملًا، ثم أخذ يعتريه النقص وذهب أكثره، فأعاده هؤلاء إلى قريب من حالته في عهد السلف الأول [٨]كذلك من جوانب التجديد إفشاء العلم: ولأهمية العلم في الدين عرف البعض التجديد بإنه إحياء العلم، يقول ابن كثير: " وقال طائفة من العلماء : الصَّحيح أَنَّ الْحَدِيثَ [يعني: حديث التجديد] يَشْمَلُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ آحَادِ الْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْاعْصَارِ مِمَّنْ يَقُومُ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ فِي أَدَاءِ الْعِلْمِ عمَّن أَدْرَكَ مِنَ السَّلَفِ إلى مَنْ يُدْرِكُهُ مِنَ الْخَلَفِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُرْسَلَةٍ وَغَيْرِ مُرْسَلَةٍ: يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ" [٩]، والتجديد: "يجدد الدين؛ أَيْ يُبَيِّنُ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ وَيُكْثِرُ الْعِلْمَ وَيُعِزُّ أَهْلَهُ وَيَقْمَعُ الْبِدْعَةَ وَيَكْسِرُ أَهْلَهَا " [١٠]، وتنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً على قدر الامكان، ومن هنا يكون المجدد أبعد ما يكون عن مصالحة الجاهلية ولا يكاد يصبر على أن يرى أثراً من آثارها في أي جزء من الاسلام[١١].والتجديد يتضمن تشخيص أمراض البيئة التي يعيش فيها المجدد، وذلك ان يدقق النظر في أوضاع زمانه ويتبين مكامن الجاهلية في المجتمع ومبلغ نفوذها منه، وإلى أي مدى قد امتدت أثارها في الحياة وما هو موقف الاسلام منها، و تعيين مواضع الفساد [١٢].كما أن تجديد الدين هو وضع الحلول الإسلامية للمشاكل التي تطرأ في حياة البشر، ذلك أن الحياة مليئة بالمتغيرات، ففي كل عصر توجد حوادث طارئة تستدعي أن يشرع لها حكم [١٣] .

رابعاً: نماذج من جهود المجددين

ومن الحقائق التاريخية ان تاريخ الاصلاح والتجديد متصل في الإسلام، والمتقصي لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا في جهود الاصلاح والتجديد ولا فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد ويرفع صوت الحق، ويفتح نوافذ جديدة في التفكير فعمل المجددين المصلحين الحفاظ على الإسلام وقضوا على كثير من الفتن والبدع والمؤامرات والتحريفات وتمثلت جهودهم في تصحيح الانحرافات، الفكرية والسلوكية [١٤] فكان للمجدد دور في الاصلاح السياسي وإحياء النظام الاسلامي وتمثل ذلك بالخليفة عمر بن عبد العزيز الذي يعد مجدد القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، تمثلت الفائدة الكبرى التي جرت على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز والتي عد على أساسها من المجددين، هي الاتجاه الجديد الذي اتجهته الامة والمجتمع الاسلامي والتطور الذي وقع في الأذواق والأخلاق والميول والرغبات[١٥] يقول الطبري : " وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع فولي سُلَيْمَان، فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسال بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى فلما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر؟ " [١٦]فكان من رعاة الإصلاح فأعظم ما امتاز به، نظرته إلى السلطة نظرة الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين، فعندما ولي الخلافة كانت السلطة مقصورة على جباية الأموال وأنفاقها في مصالح الدولة، بمعزل عن أخلاق الجمهور وعقائد المجتمع ولا شأن لهم بالضلالة والهداية، فكان اساس حكمه الاهتمام بالدين وإصلاح أخلاق الرعية وبما يعود عليهم بالنفع في الآخرة، والنظر في جميع مسائل السياسة والمالية من الوجهة الدينية، والقيام بمشاريع إصلاحية أكثر من اهتمامه بالجباية والخراج وأنواع المحاصيل والإيراد[١٧]وقد أحدث إصلاحات واسعة الأثر في نظام الحكم، وقال عن الحكم كلمته المشهورة، عندما شكا إليه بعض العمال أن أهل الذمة بدؤوا يقبلون على الإسلام في عدد كبير؛ ذلك أن الجزية التي

يفرضها الإسلام على أهل الذمة ولو كان بمقدار بسيط، يتضائل بجانب ما يتمتعون به من حقوق، فالجزية من موارد بيت المال، وإذا اسلم هؤلاء سقطت عنهم الجزية وخسر بيت المال مورداً مهماً، فلما بلغت هذه الشكوى إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز، فأجاب عنها: " إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيًا إِلى الإِسْلامِ وَلَمْ يَبْعَثْهُ جَابِيًا " [١٨]فإذا تعارضت المصلحة المالية مع مصلحة من مصالح الشريعة، رجح المصلحة الشرعية والحكم الشرعي على المصلحة المالية ولم يتردد، فقد منع الضرائب والمكوس والعشور، وفتح طريق البر والبحر للتجارة الحرة، ، وأمر أن يكون تمام مكيال الارض وميزانها واحداً في جميع الارض كلها، وحرم على عمال وموظفيها ممارسة التجارة، ومنع السخرة بأنواعها[١٩]، وفطن لأمور دقيقة، منها الهدايا التي كانت تهدى إلى العمال، وكانوا يقبلونها؛ لأن قبول الهدايا سنة، فرفضها فقال في هدية أهديت إليه، وقد قال صاحبها أن الرسول ﷺ كان يقبل الهدية، فرد عمر بن العزيز : " هُوَ لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هَدِيّة وَهُوَ لنا رشوة وَلَا حاجة لي بِهِ " [٢٠]، كما سعى لإصلاح دين الرعايا وأخلاقهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكانت هذه المهمة قد تحولت إلى أيدي العلماء والفقهاء الذين أصبحوا يشكلون القيادة الدينية في الأمة، أما القيادة السياسية فقد كانت بأيدي الخلفاء والولاة وقواد الجيوش، وانفصال القيادة السياسية عن القيادة الدينية كان أثرًا من الآثار السيئة، فجمع الخليفة عمر بن عبد العزيز بين القيادتين، الإدارة والإرشاد والسياسة والدعوة وتحقيق الاصلاح [٢١]إن هذه الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز في عهده، وإن هذه الخطوات التي خطاها في سبيل إصلاح نظام الحكم وتطبيق الشريعة، كان يُخشى أن تسبب أزمات مالية وخسائر، وأن تقع الدولة في مشاكل جديدة لا تجد لها حلاً، ولكن هذه الأزمات لم تقع، وفوجئ الناس أن الرفاهية قد عمت ومالية الدولة قد قويت، وأطمان الناس، حتى عز وجود من يستحق الزكاة ويقبلها[٢٢]، قَال يحيى بن سعيد: " بَعَثَنِي عمر بن عبد الْعَزِيز على صدقَات إفريقية فاقتضيتها وَطلبت فُقَرَاء نعطيها لَهُم فَلم نجد بهَا فَقِيرا وَلم نجد من يَأْخُذهَا مني قد أغْنى عمر بن عبد الْعَزِيز النَّاس فاشتريت بهَا رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للْمُسلمين" [٢٣].فتمكن من تحويل الدولة والمجتمع الاسلامي إلى الحكم الاسلامي المحض والحياة الدينية الخلقية التي تتحكم فيها المعايير الإسلامية، والقيم الدينية والمثل العليا، وقد تم كل ذلك وتحقق في سنتين وبضعة أشهر[٢٤] فأستطاع الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يمثل هذا الدور في تاريخ الاصلاح والتجديد والدفاع عن الدين ، وأن يؤثر في عقول الناس وقلوبهم هذا التأثير العظيم .كذلك الحسن البصري من كبار دعاة الاسلام ومن المجددين، فمن احدى مجالات التجديد التصدي للنفاق الذي كان سائداً في عصره وجد في مرحلة كان يجب أن ينتبه لها، وإنها جديرة أن تحدث في كل زمان ومكان، وهو وجود النفاق، لم يكن هناك نفاق عقيدة؛ ولكن نفاق خلقي وعملي، وهو وجود تنافض بين السيرة الإسلامية الراسخة بين طلب الآخرة والسعي لها، والجهد في سبيلها، وبين انتهاز الفرص التي حدثت لوجود حكومات غنية، ذات وسائل وإمكانيات متوفرة، لتبوء المناصب الرفيعة، وتملك وسائل الرفاهية، بالتزلف إلى الحكام، ومخالفة الضمير والمبدأ، فكان نفاقاً خلقياً، وهذا ما أحدث تناقض وتفطن له الحسن البصري بما أوتي من فراسة إيمانية وعلم راسخ، فوهب نفسه لمعالجة هذا التناقض الذي حدث في المجتمع الاسلامي [٢٥]، فقيل للحسن البصري : " يا أبا سعيد! اليوم نفاق؟ قال: لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها " [٢٦]، وقال في مناسبة أخرى : " يَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ مُنَافِقٍ قَهَرَهَا وَاسْتَأْثَرَ عَلَيْهَا "يشير إلى الحكام والأمراء[٢٧]فعارض الإمام الحسن البصري، النفاق وركز عليه عنايته وبلاغته التي أكرمه الله بها، فوهب نفسه وطاقته وإمكانيته، وقوة بيانه وقدرة لسانه، لمحاربه هذا النفاق والتناقض الحادث في المجتمع الاسلامي بحكم الطبيعة وأتساع المملكة، وتضخم الثروة [٢٨]والإمام أحمد بن حنبل الذي تصدى لفتنة عقيدة خلق القرآن، العقيدة التي تزعمها المعتزلة المتأثرون بالفلسفة الإغريقية، ولهذه العقيدة لوازم فاسدة، ونتائج معارضة لحقيقة إعجاز القرآن، وكونه منزلاً من الله لفظاً ومعنى[٢٩]، وقد أحتضن الخليفة العباسي المأمون، هذه العقيدة وحماها، وأصدر سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م)، رسالة يأمر فيها بجمع القضاة، وامتحانهم في عقيدة خلق القرآن، وعزل من لا يقول بلك منهم، وإسقاط شهادة من لا يراها من الشهود، وكانت محنة عقدتها حماية المملكة وحماية القائم عليها [٣٠]وهنالك قام لمعارضتها و للوقوف بوجهها، الإمام أحمد بن حنبل، وخاطر بنفسه وحياته وتركزت فيه رياسة المعارضة، فحبس ومكث في السجن نحو ثلاثين شهراً، وفي أيام المعتصم خليفة المأمون ضرب بالسياط، وهو يقول في كل مرة : " أعطوني شيئاً من كتاب الله او سنة رسول الله ﷺ أقول به " [٣١]، وقد كان من ثبات ابن حنبل وصموده وإخلاصه أن انطفأت عقيدة خلق القرآن حتى بقيت مدفونة في كتب الملل والنحل وعلم الكلام، وقد اعترف معاصروه بأن غناءه للإسلام، وفي الدفاع عن القرآن كان عظيماً، وإنه سد ثلمة عظيمة كادت تحدث في الإسلام [٣٢]وليس سر عبقرية الأمام أحمد بن حنبل في دفاعه عن عقيدة من عقائد الإسلام، وانتصاره لها، وفضله في ذلك لا ينكر، ولكن يرى أبو الحسن الندوي أن مأثرته الكبرى التي أكسبته منصب التجديد، هو إنه وقف سداً منيعاً في اتجاه هذه الأمة إلى التفكير الفلسفي المتهور، الذي لو سيطر على هذه الأمة لأنقطعت صلتها بالتدرج عن منابع الدين الأولى، و خضعت هذه الأمة للفلسفات، وانتصرت السياسة على الدين، وسلبت حرية الرأي والعقيدة [٣٣]وأمّا الإمام أبو الحسن الاشعري يعد من المجددين الذين لهم جهود كبيرة في تصحيح الانحرافات، والعمل الأساسي الذي قام به هو

تصديه لتيار الانحرافات الداخلية في المجتمع المسلم في عصره والتي كانت تتمثل في فرقة المعتزلة[٣٤] و كان أبو الحسن الاشعري إماماً في علم الكلام، واحد مؤسسيه، وقد خضع كل من جاء بعده من المتكلمين لعبقريته وعمق كلامه، ودقة نظره واصابة فكره[٣٥]، قال الإمام أبو بكر الباقلاني: " وَقد قيل لَهُ : كلامك أفضل وَأبين من كَلَام أَبِي الْحسن الْأَشْعَرِيّ رَحمَه الله فَقَالَ والله إِن أفضل أحوالي أَن أفهم كَلَام أَبِي الْحسن رَحمَه الله" [٣٦] وقد كانت جهوده في التجديد والإصلاح في مواجهة المعتزلة تتمثل في :

اولاً_ المناظرات: أمتلك أبو الحسن الاشعري ملكة قوية في البحث والاستدلال شديد المعارضة قوي الحجة، ويصف أحد تلاميذه ذلك بقوله: " دخلت الْبَصْرَة وَكنت أطلب أَبَا الْحسن الْأَشْعَرِيّ رَحمَه الله فأرشدت إِلَيْهِ وَإِذا هُوَ فِي بعض مجَالِس النّظر فَدخلت فَإِذا ثمَّ جمَاعَة من الْمُعْتَزلَة فَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فَإِذا سكتوا وانهوا كَلَامهم قَالَ لَهُم أبو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيّ لوَاحِد وَاحِد قلت كَذَا وَكَذَا وَالْجَوَاب عَنهُ كَذَا وَكَذَا إِلَى أَن يُجيب الْكل" ولم يقتصر على ذلك بل كان يقصدهم إلى مجالسهم ويناظرهم بنفسه[٣٧].

ثانياً_ الكتابة والتأليف: ولم يقتصر على المناظرة بل خلف مكتبة كبيرة من مؤلفاته أكثرها في الرد على المعتزلة، وبعضها في الرد على مذاهب والفرق ، والتفسير وشرح العقيدة [٣٨] .

ثالثاً_ من نواحي أعمال الأشعري التصحيحية هي ما خلّفه وراءه من مدرسة نسبت إليه وتسمت باسم الأشعرية، أنجبت تلاميذ أذكياء وشخصيات قوية، حملت الراية من بعده وصارعت المعتزلة صراعًا لم تقم لهم بعده قائمة، واستمرت تؤثر في الفكر الإسلامي قرونًا عديدة، ومن هؤلاء التلاميذ ، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وأبو إسحق إبراهيم بن محمد الإسفراييني (ت ٤١٨ هـ/١٠٢٧م) [٣٩]، يقول أَبَا بكر بن الصَّيْرَفِي :" كَانَت الْمُعْتَزلَة قد رفعوا رُؤُوسهمْ حَتَّى أظهر الله تعالى الْأَشْعَرِيّ فحجزهم فِي أقماع السمسم" حيث قاتلهم بنفس سلاحهم، فاضمحلت بسببه شبهتهم [٤٠] وبموقفه في الدفاع عن السنة ونصر الدين استحق أن يعد من المجددين الكبار .والإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ومن المجددين الذين كان لهم دور في تصحيح الانحرافات، يلقب (بحجة الإسلام) شهادة له بالسبق الذي أحرزه في هذا الميدان ، شخصية اجتمعت فيها مواهب عديدة، فكان شديد الذكاء ، قوي الإدراك، سديد النّظر، قوي الحافظة، دقيق المعاني، مناظراً محجاجاً [٤١] يُعد الغزالي من نوابغ الإسلام ومن كبار قادة الفكر الاسلامي ورجال الاصلاح والتجديد الذين لهم فضل كبير في بعث الروح الدينية، وإيقاظ الفكر الاسلامي والدعوة إلى حقائق الاسلام وأخلاقه وفي مقاومة الغزوات العقلية التي كانت تجتاح المجتمع الاسلامي والفكر الاسلامي وتمثل ذلك في مجالات عدة كعلم الكلام والفلسفة والتصوف والباطنية ، وسنتناول نقد الفلسفة ومناقشته لها كإحدى مجالات التجديد التي قام بها الغزالي [٤٢]رأى الإمام الغزالي أن لا يسوغ الحكم عليها وبث الرأي فيها حتى يدرسها ويحيط بمقاصدها وكلياتها فأقبل يدرسها بجد وإخلاص حتى وصل إلى أقصى ما يصل اليه عالم يتوفر على دراسة الفلسفة ويتعمق فيها ولا يعتمد على ما قاله خصومها [٤٣]، فيصف خطته في نقد الفلسفة بقوله: " ثم إني ابتدأت – بعد الفراغ من علم الكلام – بعلم الفلسفة، وعلمت يقيناً: إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم، وإذا ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً" [٤٤] كما وجد أن المباحث الفلسفية لا تزال غامضة ومعقدة ليست في متناول الاوساط من الناس , فرأى أن يؤلف كتاباً يذكر فيه المباحث الفلسفية ونظرياتها ومسائلها بلغة سهلة وواضحة فألف كتاب " مقاصد الفلاسفة " [٤٥] والنتائج التي توصل إليها الغزالي في دراسته لأصناف الفلاسفة وعلومهم:

– بين أن بعض مباحث الفلسفة ليس فيها شيء يتعلق بالأمور الدينية نفياً او اثباتاً، كالعلوم الرياضية التي تتعلق بعلم الحساب والهندسة، والمنطقيات[٤٦]، وبين إنها أمور برهانية لا حاجة إلى رفضها بعد فهمها ومعرفتها، أما آراء الفلاسفة في الأخلاق والسياسة[٤٧] فبيَّن أن هذه الآراء لا تتصادم مع الدين إلا في النادر[٤٨].

– أثبت أن أكثر أغاليط الفلاسفة وأخطائهم في مباحث الفلسفة المسماة بالإلهيات[٤٩]، وذلك أن براهينهم فيها غير مستقيمة، وهذا سبب كثرة اختلافهم هم أنفسهم فيها[٥٠]، فإلالهيات ليس فيها مبادئ ومقدمات ومحسوسات ومعلومات أولية يتوصلون بها إلى أمور مجهولة ، وليس فيها أساس للقياس، ﴿ لَيسَ كَمِثلِهِۦ شَيء وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ﴾[٥١] لذلك كثرت فيها اغاليطهم وجاءت فلسفتهم فيها مجموع أوهام وتخيلات وتخمينات [٥٢] .

– أنتقد الغزالي بعض العلماء المسلمين، الذين وقفوا موقف الصديق الجاهل، الذي ظن أن الدين ينبغي أن يُنصر بإنكار كل العلوم المنسوبة إلى الفلاسفة ومقاطعتهم، فأنكروا جميع علومهم وأدعوا جهلهم فيها، وزعموا أن ما قالوه خلاف الشرع، وقد كانت تلك مصيبة لأن من رأى قوة براهين الفلاسفة في هذه الأمور، اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع، فازداد للفلسفة حبًا وللإسلام بغضًا[٥٣].

– كما بين الغزالي تأثير الفلسفة في البعض وكيف تدرج بهم الخضوع لبراعة الفلسفة في العلوم الرياضية والمنطقية، وظنوا أن جميع علومهم في الوضوح وقوة البرهان مثل العلوم الرياضية، وحين سمعوا عن كفر الفلاسفة وتهاونهم في الشرع، وقع في أنفسهم أن لو كان الدين حقًا لما خفي على

هؤلاء مع تدقيقهم في العلم، فتبعوهم في التحلل من الاسلام ، وأنكارهم للشرائع وجحد الدين [٥٤] لذلك دعت الحاجة إلى تأليف كتاب " تهافت الفلاسفة " يبين فيه تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالإلهيات، وبذلك خدم الغزالي الدين وعد من المجددين لتصحيحه الانحرافات الفلسفية وشغل الفلسفة في الدفاع عن نفسها بعد أن كانت تتقدم بخطى سريعة[٥٥]، ولم ولم يستطع الفلاسفة أن يقدموا كتابا كفيلاً بالرد على تهافت الفلاسفة حتى جاء ابنرشد(ت٥٩٥هـ/م) فالف كتاب "تهافت التهافت " يقول علماء الفرنج: " إن الغزالي طعن الفلسفة في الشرق العربي طعنة قاضية، وكاد يكون نصيبها في الغرب كذلك ، لو لم تلقِ في ابنرشد حامياً لها أحياها قرناً من الزمن" [٥٦] .

هوامش البحث

[١]() الجوهري، الصحاح، ٢/ ٤٥٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١١/٣.

(٢) خير، بسطامي محمد سعيد ، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، (جدة : ٢٠١٢)،١٣.

(٣) أبي داود، السنن، كتاب الملاحم، الحديث (٤٢٩١) ، ٤/ ١٠٩ .

(٤) زين الدين محمد عبد الرؤوف, فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر:١٣٥٦هـ) ، ٢٨١/٢؛. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف،(الرياض :١٩٩٥)، ١٤٩/٢ .

(٥) المناوي فيض القدير،١٠/١ .

[٦]() أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٥١/١-٥٢ .

(٧) ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ٥٣ .

(٨) خير، مفهوم تجديد الدين ،٢١ .

[٩]() البداية والنهاية، ٢٨٧/٦ .

(١٠) العظيم آبادي، ابو عبدالرحمن محمد أشرف بن أمير الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت: ١٤٥هـ)،٢٦٠/١١ .

[١١]() أبو الأعلى المودودي، بن أحمد بن حسن، موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه، ترجمة: محمد كاظم سباق، دار الفكر، ط٢، (بيروت :١٩٦٧)، ٥٢ .

[١٢]() أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين،٥٤-٥٥ .

(١٣) خير، مفهوم تجديد الدين،٢٥ .

[١٤]() أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٥٤/١ .

(١٥) أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٨٩/١ .

[١٦]() تاريخ الرسل والملوك ، ٤٩٨/٦ .

(١٧) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، ١٨٦ .

[١٨]() أبو يوسف، الخراج، ١٤٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٧٣/٧؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، أنساب الأشراف، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت : ١٩٩٦)، ١٤٦/٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤٧/٥، أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، ١٨٦؛ رجال الفكر والدعوة ،١/ ٧٤ .

[١٩]() ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز،٨٦- ٨٨؛ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة، ٧٥/١-٧٦.

(٢٠) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ١٣٨؛ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ، ١/ ٧٦.

[٢١]() أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ،١/ ٧٧ .

[٢٢]() أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ،١/ ٨٨ .

[٢٣]() ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ٦٥؛ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ،١/ ٨٩.

(٢٤) أبو الحسن الندوي، محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، (دمشق : ٢٠٠١)، ١٢٨/٢ .

[٢٥]() أبو الحسن الندوي، محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، ٦٢٦/٢ .

[٢٦]() الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن، صفة النفاق وذم المنافقين، تحقيق: أبو عبد الرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، (القاهرة : ١٩٨٨)، ١٤٤؛ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ، ١١٠/١؛ محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، ٦٢٧/٢ .

(٢٧) الفريابي، صفة النفاق وذم المنافقين، ٩١؛ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ، ١١٠/١.

(٢٨) أبو الحسن الندوي، محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، ٦٢٧/٢ .

(٢٩) أبو الحسن الندوي، محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، ٦٢٧/٢ .

[٣٠]() ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ٤١٦ وما بعدها ؛ الذهبي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي ،(بيروت : ٢٠٠٣)، ١٠٣٦/٥ -١٠٤٩.

(٣١) ابن حنبل، المسند، ١٠٤/١ ؛ أبو الحسن الندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، ٦٢٨/٢ .

(٣٢) أبو الحسن الندوي، محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، ٦٢٨/٢ .

[٣٣]() أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ، ١٨٠/١ .

(٣٤) أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة ، ٧٥/١ .

[٣٥]() ابن عساكر، تبين، كذب المفتري ، ١٢٥-١٢٦؛ أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ١٩٠/١ .

[٣٦]() ابن عساكر ، تبين كذب المفتري ، ١٢٥-١٢٦؛ أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ١٨٩/١ .

(٣٧) ابن عساكر ، تبين كذب المفتري، ٩٥؛ أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ١٩٠/١ .

(٣٨) ابن عساكر ، تبين كذب المفتري ، ١٢٨ – ١٣٦؛ تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٣/ ٣٤٩ .

[٣٩]() تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٣٦٨/٣-٣٧٠؛ أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ١٩٨/١؛ بسطامي، مفهوم تجديد الدين، ٨٠ .

[٤٠]() ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ،٩٤ .

(٤١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٩٩٢)، ١٣٤/١٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١٦/٤-٢١٧؛ تاج الدين السبكي، ، طبقات الشافعية، ٦/ ١٩٦.

[٤٢]() أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٢٨٧/١ .

[٤٣]() أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٢٣٠/١ .

(٤٤) الغزالي، المنقذ من الضلال ،١٢٦ .

[٤٥]() الغزالي، المنقذ من الضلال، ١٢٦-١٢٧ .

[٤٦]() علم المنطق : أحد علوم الفلسفة " وهو قوانين يعرف بها الصّحيح من الفاسد في الحدود المعرّفة للماهيّات والحجج المفيدة للتّصديقات وذلك لأنّ الأصل في الإدراك إنّما هو المحسوسات بالحواسّ الخمس. وجميع= =الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من النّاطق وغيره وإنّما يتميّز الإنسان عنها بإدراك الكلّيّات وهي مجرّدة من المحسوسات... وهذا السّعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقتضى ذلك تمييز الطّريق الّذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلميّة ليتميّز الصّحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق " ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي، العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، (بيروت : ١٩٨١)، ٦٤٤/١_٦٤٥ .

[٤٧]() السياسيات : فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية، والإيالة السلطانية، وإنما أخذوه من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء عليهم السلام، وأما الخلقية: فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية. ينظر: الغزالي، المنقذ من الظلال، ١٥١ .

(٤٨) الغزالي، المنقذ من الضلال،١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٥١ ؛ أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٢٣٢/١ .

[٤٩]() الإلهيات : أحد مباحث علم الفلسفة ينظر في الوجود المطلق فأوّلا في الأمور العامّة للجسمانيّات والرّوحانيّات من الماهيّات والوحدة والكثرة والوجوب والإمكان وغير ذلك ثمّ ينظر في مبادئ الموجودات وإنها روحانيّات ثمّ في كيفيّة صدور الموجودات عنها ومراتبها، ثمّ في أحوال النّفس بعد مفارقة الأجسام وعودها إلى المبدأ. ينظر: ابن خلدون، العبر، ٦٥٤/١ .

[٥٠]() الغزالي، المنقذ من الضلال، ١٤٣– ١٤٩ ؛ أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٢٣٥/١ .

[٥١]() سورة الشورى ،الآية: ١١.

(٥٢) أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٢٥٠/١ .

[٥٣]() الغزالي، المنقذ من الضلال، ١٤٠ .

[٥٤]() الغزالي، المنقذ من الضلال،١٣٨–١٣٩ .

(٥٥) أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، ٢٥٦/١.

(٥٦) جمعة ، مصطفى لطفي، تاريخ فلاسفة الاسلام في الشرق والغرب، المركز العربي للأبحاث ، ط٢، (بيروت :٢٠١٥)،١٤٢ .